المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: أثر العامل الخارجي (الولايات المتحدة الأمريكية) في رسم ملامح العلاقات بين العراق وسوريا بعد عام 2003 وخيارات صانع القرار الوطني
اسم الكاتب: م.م. حبيب صالح مهدي ألعبيدي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2109
تاريخ الاسترداد: 2025/06/15 08:17 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

أثر العامل الخارجي (الولايات المتحدة الأمريكية)
في رسم ملامح العلاقات بين العراق وسوريا بعد عام ٢٠٠٣
وخيارات صانع القرار الوطني

مدرس مساعد

حبيب صالح مهدي ألعبيدي(*)

المقدمة

بداية يجب القول أن العراق وسوريا دولتان تتمتعان بتأريخ وجغرافية وشعب مشتركة ، ,ومتماثلان في الانتماء القومي والعرقي تقريبا ، إذ أن المتتبع لمكونات العشائر العربية والكردية في كلا البلدين يجدها واحدة في الانتماء ، وموزعة ضمن إقليمين متجاورين جغرافيا ومنفصلين سياسيا .

الاستقلال السياسي للبلدين تحقق مع بدايات القرن الماضي ، إذ تحررا من هيمنة الدولة العثمانية ليقعا ضمن مضلة استعمارية جديدة ، فرضتها اتفاقية (سايكس بيكو) عام ، بعد أن قسمت هذه الاتفاقية منطقة الشرق الأوسط إلى دول عديدة وخلقت حدودا مصطنعة جديدة بينهما ، بعد أن كانت دولة واحدة تدار من اسطنبول . فرنسا كانت حصتها سوريا ، والعراق من حصص بريطانيا .

الخارطة السياسية بعد الاحتلال كانت شبه متقاربة بين البلدين ، أذ اوجدت القوى الطليعية فكرا قوميا سياسيا مشتركا فضلا عن الافكار اليسارية الاخرى . أستحوذ الفكر القوي على السلطة في كلا البلدين بعد صراعات دموية مريرة ولاكثر من اربعة عقود في العراق على الاقل ، واستمر ذلك في سوريا حتى الان .

لقد اتسمت فترة الاربعة عقود في تشابه السلوك السياسي لكلا البلدين ، والانغلاق عن الاخرين والاستئثار بالسلطة لصالح الحزب الواحد . ورغم كلا هذا التشابه التاريخي والجغرافي والاجتماعي والسياسي (الايديولوجي) الا أن العلاقات بين البلدين كانت اسوأ علاقات لكلا البلدين ضمن محيطهما الاقليمي .

أتسمت فترة العقود الاربعة بفترات قصيرة من الوئام ، بينما كانت القطيعة هي الوجه الاكبر لتأريخ العلاقات الحديثة بين العراق وسوريا ، لقد فوت هذا التجافي الفرص الحقيقية في تقديم اداء سياسي يخدم العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتعود بالنفع على البلدين والمنطقة بشكل اعم .

ومع اقتراب البلدين قبل عام في رسم علاقات جديدة ، اساسها التفاهم الاقتصاد وتحريك المياه الراكده بينهما في زيارات متبادلة للمسؤولين في كلا البلدين ورفع سقف التبادل التجاري الى مليارات الدولارات مستفيدين من مذكرة التي كانت قائمة بين العراق والامم المتحدة ، الا انها كانت فترة قصيرة حتى جاءت الولايات المتحدة الى غزو العراق واحتلاله عام ، لتكون هي الراعي الجديد في رسم ملامح العلاقات بين العراق وسوريا . وبعد ستة سنوات من الاحتلال ، وتوقيع الاتفاقية الامنية بين العراق والولايات المتحدة لخروج القوات العسكرية من العراق حتى نهاية العام ، يطرح السؤال التالي : –

ماهي خيارات صانع القرار الوطني لكلا البلدين في رسم ملامح علاقات جديدة بعيدة عن الضغوط والتأثير الخارجي للولايات المتحدة الامريكية ؟

تمهيد: جذور العلاقة بين العراق وسوريا (التأريخ ، التواصل القطيعة)

(*)هيئة التعليم التقني / كلية التقنيات الكهربائية والالكترونية

العراق وسوريا تأريخ متصل منذ أن كانت هناك اقدم امبراطورية في العالم بزعامة القائد سرجون الاكدي ، وقد شملت بلاد الشام ووادي الرافدين واسيا الصغرى ، وتوالت عملية الاتصال بالعهود التي شملت الإمبراطوريات الأشورية والبابلية والكلدانية . وفي فترة لاحقة تعرض البلدان للسيطرة الفارسية والبيزنطية ، أذ حكم الفرس بلاد الرافدين (العـ) بعد احتلاله ، وحكم البيزنطينيون سوريا ، مدمرين في ذات الوقت الامارتين العربيتين ، دولة الغساسنة في سوريا ، ودولة المناذرة في العراق، وقد استمرت هذه التوآمة بين هذين البلدين، أذ دخلا الاسلام في زمن الخليفة (عمر بن الخطاب) ( )) بعد دحره لجيوش الفرس في معركة القادسية بالعراق ، ودحر البيزنطينيين في معركة اليرموك ببلاد الشام ، وهكذا عاد البلدان يشكلان جغرافية واحدة وسيادة واحدة .

أستمرت وحدة البلدين في عهود الخلافة الراشدة ، ومن بعدها الخلافة الاموية والتي اتخذت من بلاد الشام مقرا لها ، بعد أن كانت الكوفة في العراق مقر الخلافة الراشدة الاخيرة في زمن الامام علي بن ابي طالب ( )[1]. بنهاية الدولة الاموية في بلاد الشام وانتقالها الى بلاد الاندلس لتأسيس دولة هناك ،أنتقلت الخلافة الى بغداد في زمن الدولة العباسية والتي استمرت لقرون عدة وكانت بلاد الشام جزء من هذه الدولة . وقبل انهيار الدولة العباسية ، اشترك مجاهدوا البلدين من المسلمين عرب وغير عرب في التصدي للهجمات الصليبية والتي استمرت اكثر من عام ، توجها النصر التأريخي للقائد المسلم (صلاح الدين الايوبي) على الجيوش الصليبية ودحرها واقامة اتفاقية تأريخية تضمن التعايش السلمي لجميع الاديان في مدينة القدس ، كما فعلها قبله الخليفة عمر بن الخطاب ( ) في فتح بيت المقدس.

بعد تعرض بغداد للغزو المغولي وسقوط بغداد عام م ، قاومت بلاد الشام لتنتصر على المغول في المعركة الشهيرة عين جالوت .

وقد أستمرت الدولتان تحت حكم العثمانيين لعدة قرون اخرى كجزء من الامبراطورية العثمانية ولكن جذوة التحدي والتحرر لم تنقطع عنهما حتى تمكنا من الثورة في وجه هذه الدولة عام وبمؤازرة ثوار نجد والحجاز وعلى رأسهم الشريف حسين ، والذي تعرض لغدر وخديعة الانكليز الذين استخدموا الثوار كاداة لطرد العثمانيين .

من البلاد العربية ، واخضاعهم فيما بعد تحت حكم استعماري جديد ، اقرته اتفاقية (سايكس بيكو) والتي قسمت البلاد العربية الى دويلات صغيرة ، تحت امرة الدول المنتصرة في الحرب العالمية الاولى بريطانيا وفرنسا حيث اصبحت سوريا تحت حكم الفرنسيين ، بينما اصبح العراق من حصص بريطانيا .

وحين اعلن استقلال البلدين في دمشق في (/ (/ ، نص الاتفاق على اتحادهما سياسيا واقتصاديا . ورغم تحكم المحتل فيهما ، فان محاولات الوحدة والاتحاد استمرت دون هوادة ، ولكن بروز المشاكل السياسية والصراعات الضيقة والايديولوجية وطموح الحكام المستفيدين افشلت هذه المحاولات[2]. وقد استمدت العديد من الحركات السياسية (سلك الضباط) ((حزب البعث) اكثر عناصرهم تمردا من العوائل العربية الشمالية التي انتقلت الى العاصمة بغداد ، بعد أن انهارت حياتهم الاقتصادية التقليدية نتيجة العقبات الناجمة عن رسم الحدود الجديدة مع سوريا ، وتجزئة البلدين بعد قيام حكم الجمهورية في كلا البلدين ، نشأ صراع من نوع آخر هو

---

[1] قحطان أحمد سليمان، سوريا والعراق – الثوابت والمتغيرات، مجلة السياسية والدولية، العدد) بغداد / .

[2] نفس المصدر السابق ، ص

[3] قحطان احمد سليمان ،م . .

[4] حنا بطاطو،التحليل الطبقي والمجتمع العراقي ،في كتاب المجتمع العراقي ،حفريات سوسيولوجيه في الاثنيات والطوائف والطبقات ،معهد الدراسات الاستراتيجيه ،ط ،بغداد– بيروت ، .

صراع ايديولوجي بين البلدين من خلال تبني كلا الطرفين مبادى حزب البعث العربي الاشتراكي ، وادعاء كل طرف بانه يمثل الاتجاه الصحيح في ايديولوجية هذا الحزب . وقد أستمرت القطيعة بينهما لهذا السبب فقط لعدة عقود ، وكان كل طرف يدعم الاطراف المعارضة للطرف الاخر ، بل وصل الصراع بينهما الى داخل دول اخرى مثل لبنان، حيث أن بغداد بدءا من عام ، تولت وسلحت الميليشيات المسيحية المعارضة للتدخل السوري في الحرب الاهلية اللبنانية، واصبح العراق السند الثاني للقوى اللبنانية بعد (إسرائيل) عام ، كما أنه قدم الدعم للجنرال ميشيل عون عام مغذيا الامل في واشنطن بانه سيساهم في احباط المطامح السورية[6] في الجهة المقابلة قدمت سوريا دعمها السياسي لايران في الحرب ضد العراق – وادانت فهم النظام العراقي الخاطى للمصالح القومية العربية ، وابرمت مع طهران تحالفا استراتيجيا وضع العراق بين فكي كماشة . ومن الامثلة الاخرى على تمدد صراع البلدين ، كان هناك صراع في علاقة حزب البعث لكلا البلدين بمنظمة التحريرالفلسطينية في اعوام السبعينيات والثمانينيات في مرآة العلاقات المتقلبة والصاخبة تارة بين حافظ الاسد وعرفات يتخللها شقاقات ومصالحات مع دمشق يعقبها مباشرة اهتمام او برود من قبل بغداد تجاه الفلسطينيين، وهكذا الحال كلما اقترب طرف من الفلسطينيين ابتعد الطرف الثاني وبالعكس[٧] .

المبحث الا : المشتركات في علاقات العراق مع سوريا .

وهي العوامل التي تشترك بها الدول ، وتجمعها في مصلحة مشتركة لرسم ملامح حاضرها ومستقبلها . والمشتركات تنقسم في بحثنا هذا الى مشتركات ثابتة ومشتركات متغيرة .

المشتركات الثابتة (Static Common) :-

هي المشتركات التي ورثها البلدان العراق وسوريا منذ القدم ولازالت باقية وستبقى ، الى اجل غير معلوم ، وتتضمن التأريخ المشترك ، والجغرافية ، والقومية العربية ، والدين الاسلامي ، والمياه متمثلة بنهر الفرات الرابط بين البلدين .

اما المشتركات المتغيرة (Change Common) :-

وهي الاهتمامات المشتركة والتي تخص البلدين والتي يمكن أن تتغير بظروف مختلفة سلبا او ايجابا ، وهي المهمة في بحثنا والتي سنأتي على بحثها لاحقا .

المشتركات المتغيرة :-

- الاقتصادية / اولا :- النفط

لقد شكل النفط ومنذ اكتشافة في العراق رابطا قويا بين العراق وسوريا ، فقد كانت مصلحة الدول المستعمرة للمنطقة هو ايصال النفط العراقي الى اوربا ، وتحقق لها ذلك من خلال تصديره عبر خط انابيب كركوك بانياس وحيفا . وقد بدأ باستخراج وبيع النفط ووصوله الى البحرالابيض المتوسط في نهاية عام وبداية عام ، بانبوبين من حجم . بوصة ، واحد عن طريق سوريا ،والاخر عن طريق فلسطين .انشأت بعد ذلك خطوط انابيب اضافية بحجم بوصة ، ثم بحجم بوصة بعد الحرب العالمية الثانية عبر سوريا . وقد

---

[5] **اليزابيث بيكارد،العواقب العراقيه الوخيمه على الشرق الاوسط ،كتاب المجتمع العراقي ،حفريات سوسيولوجيه في الاثنيات والطوائف والطبقات ،مجموعه باحثين ،معهد الدراسات الاستراتيجيه ط ،بغداد . بيروت . .**

[6] **نفس المصدر السابق ، .**

[7] **نفس المصدر السابق ،ص .**

ظهرأن حقل كركوك هو من اهم حقول النفط واكبرها التي انشأت قبل الحرب العالمية الثانية . وقد هيأ هذا موردا ماليا مهما لسوريا ، لاسيما وأن التصدير بعد ذلك أنصب فقط على سوريا ، بعد ان ظهرت بوادر انشاء دولة يهودية في فلسطين ، مما حدى بالساسة العراقيين وعلى رأسهم نوري سعيد[*] الى الطلب من البريطانيين بايقاف تصدير النفط عبر ميناء حيفا ، حتى لاتتوفر مصادرمهمة لهذه الدولة ، وتحويل جميع النفط المصدر عبر سوريا . لقد اعتبرت سوريا المنفذ الاقرب لتصدير النفط العراقي الى اوربا ، لاسيما وأن المسافة بين حقول النفط العراقية ، وميناء بانياس ، هي اقصر المسافات التي يمكن ايصال النفط فيها ، فضلا عن كون نفط الخليج العربي ، السعودية والكويت وايران والاخرين يمر عبر الخليج العربي ثم يقطع مسافة كبيرة ليصل الى البحر الاحمر وهكذا حتى قناة السويس ثم البحر الابيض المتوسط وهي المسافة الابعد في ايصال النفط الى اوربا والولايات المتحدة الامريكية .

ولقد بلغ معدل ما تضخه شركة نفط العراق البريطانية عن طريق سوريا (() ملايين طن سنوي(. وقد حرص الوزير ضياء جعفر[*] في مفاوضاته مع الجانب البريطاني على تغيير اتجاه الانبوب ذات (.) عقده الجديد في حينها ، أي بعد الحرب العالمية الثانية ، ليمر عبر سوريا ولو بالمساهمة لتحمل نفقات هذا التغيير لان الواجب القومي يحتم منع اسرائيل من نفط هذا الانبوب ، وكذلك ورد ضمن طلباته الى الشركة المذكورة ، هو بتزويد سوريا ولبنان ، نفط بسعر الكلفة لكي يتمكنا من تأسيس مصفى كبير للنفط) . وقد أستمر تدفق النفط العراقي عبر سوريا لفترة طويلة حتى عام حيث تم ايقاف تصديره، وعلى خلفية نزاعات سياسية بين البلدين بلغ اوجها عام – حين دشنت سوريا بحيرة (سد الاسد) مسببة كارثة بيئية للعراق. وقد أستمرت القطيعة في تصدير النفط عبر الاراضي السورية خلال حرب الثمان سنوات بين العراق وايران، ووقوف سوريا الى جانب ايران وادانتها للعراق في حربه ضد ايران .

ومع حرب الخليج الثانية عام ووقوف سوريا مع التحالف الدولي ضد العراق ايضا وضعها كخاسر من عوائد مرور النفط العراقي عبر اراضيها. وضع العراق تحت طائلة الحصار، اوجد مناخا جديدا لسوريا لاستغلال هذا الوضع اواخر حكم الرئيس الراحل حافظ الاسد عام في بيع سلع للعراق سرعان ما تطورت العلاقة لتكون ضمن الدول المستفيده من المادة ( ) في ميثاق الامم المتحدة ويتم عبرها تصدير شحنات محددة من النفط العراقي بالصهاريج عام ،وبعد ذلك وفي نفس العام صيف(بالانابيب ضمن برنامج مذكرة التفاهم ، النفط مقابل الغذاء . وقد جرى تجريبه بعد عشرين عام من اغلاقه وهو يتسع الف الى الف برميل يوميا ˙ .

بعد احتلال العراق توقف ضخ النفط العراقي عبر الاراضي السورية ، وبامر من سلطة الاحتلال الامريكي . وقد أستمرت التصريحات التي تبشر بافتتاح خط الانابيب بين العراق وسوريا منذ العام وحتى العام من قبل مسؤولي البلدين دون تحقيق لذلك . فقد وردت هذه التصريحات من حكومة اياد علاوي

---

[8] عبد السلام رؤوف ، ضياء جعفر ، سيرة وذكريات ، ط ، بغداد ، .

[*] نوري السعيد من اهم رؤوساء الوزراء الذين عملوا خلال الفترة الملكية بالعراق – .

[9] نفس المصدر السابق ، ص (*) .

[*]ضياء جعفر ، هو وزير في حكومات متعددة ضمن حقبة الحكم الملكي في العراق – وكان المفاوض الرئيس في سلسلة طويلة من المفاوضات مع الحكومة البريطانية ،لغرض رفع سعر النفط العراقي المباع الى بريطانيا ، وقد أستمرت هذه المفاوضات شهورا طويلة ، والتي كان يرأسها من الجانب البريطاني (ويتلي) وكان الوزير ضياء جعفر يأخذ توجيهات من رئيس الوزراء آنذاك نوري السعيد ، حتى تكللت هذه المفاوضات بالنجاح لصالح العراق ، حيث افضت الى مكاسب مادية مهمة انعكست لاحقا في مشاريع اعمار العراق .

[10] عبد السلام رؤوف ، م . . . (*)

[11] اليزابيث بيكارد ، م . . (*) .

وحكومة الجعفري واخيرا حكومة المالكي ، وعلى لسان اغلب المسؤولين الذين تبادلوا الزيارات بين البلدين . وفي لقاء بين وزير خارجية سوريا وليد المعلم وعدد من المسؤولين العراقيين في بغداد . / / ، أكد خلال لقائه مع وزير خاجية العراق هوشيار زيباري ، على أن هناك عقبات تحول دون أعادة تشغيل خط انابيب النفط بين كركوك وبانياس ، ومن جانبه وصف زيباري هذه العقبات بانها فنية .

ثانيا / التجارة

لا يوجد تاريخ محدد لبدء العلاقات التجارية بين العراق وسوريا فهذا النشاط موجود منذ القدم ،ولم يتوقف الا في فترات محدوده بسبب الظروف السياسيه ،فعوامل التاريخ والجغرافيه والانتماء عززت تواصل هذا النشاط عبر السنين السابقه .

وتقدر ميازين التبادل التجاري في العصر الحديث ،بالتبادل السلعي عبر المنافذ الرسميه الحكوميه متمثله بالقطاعين العام والخاص .وقد تاثرت حركة التجارة بين البلدين مطلع القرن الماضي بعد ان تم تجزئة اقاليم الدولة العثمانية ،في اتفاقية سايكس بيكو وفصل العراق عن سوريا عبر ترسيم حدود بينهما وخضوع كل واحد منهما لدولة مستعمرة ،فقد اثر ذلك على العوائل العربية الشمالية والتي انتقلت الى العاصمة بعد ان انهارت حياتهم الاقتصادية التقليدية . وكانت تمد المناطق الشمالية العراقية امتداد طبيعي للمناطق التجارية في سوريا . وقد تزامن مع فترة احتلال البلدين بعد الحرب العالمية الاولى ووضعهما تحت الانتداب البريطاني والفرنسي توقف علاقات البلدين الخارجية بسبب الوضع القانوني لحالة الانتداب والتي لاتسمح بالدولة المنتدبه من اقامة علاقات رسمية مع أي دولة اخرى وقد استمر ذلك حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ،وكانت العلاقة بين العراق وسورية مقتصرة على الجانب التجاري فقط .

وقد ازدهرت العلاقات التجارية بعد ذلك وبالخصوص في المناطق المتاخمة للحدود بين البلدين ،وحتى منتصف عقد سبعينيات القرن الماضي ،حيث تاثرت جميع العلاقات بما فيها التجارية بين البلدين بالتراجع .وقد استمرت حالة التراجع حتى مع التغير السياسي في العراق عام .وباستثناء الفترة التي سبقت ذلك كان معدا لاقامة وحدة بين البلدين عام ازدهرت فيها التجارة بشكل جيد ولفترة وجيزة جدا لم تتجاوز العام ولكن سرعان ماتوقفت هذه التجارة مع بدايات ثمانينات القرن الماضي حيث نشبت الحرب العراقية الايرانية ووقوف سوريا مع ايران ضد العراق .حيث تم غلق الحدود مع العراق من قبل السلطات السورية في ./// . ولقد استمر انقطاع العلاقات التجارية حتى /// حيث تم اعادة فتح مركز التنف الحدودي لرجال الاعمال بين البلدين مستفيدين من برنامج النفط مقابل الغذاء بين العراق والامم المتحدة والعزلة الاقتصادية المفروضة على العراق من قبل المجتمع الدولي .وتلا ذلك توقيع اول اتفاقية تجارية بين العراق وسوريا في ./// .وقد بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين ، اكثر من (.) مليار دولار خلال المدة – وقد سمحت هذه

---

[12] **جريدة السفير ، بيروت ، / / .**

[13] **حنا بطاطو ،م. .. /**

[14] **نفس المصدر ،ص**

[15] **احمد عبد الله الناهي ،العلاقات العراقية السورية ،تداعيات الماضي وافاق المستقبل ،جريدة الصباح البغدادية في /// .**

[16] **موقع المجلس العراقي للسلم والتضامن ،مرافي /على شبكة الانترنيت HTTP / WWW . MARAFER / PEPER**

[17] **نفس المصدر السابق .**

التبادلات التجارية بأ جراء أتصالات سياسية ، وتبادل زيارات المسؤولين ، وتوقيع أتفاقيات أقتصادية ، فضلا عن أتفاقية التجارة الحرة الموقعة عام . وقد شهد مطلع عام أتفاق بين العراق وسوريا على أنشا. منطقة حرة للتبادل بين البلدين . وتلاحقت فيما بعد الزيارات والتبادل التجاري بين البلدين بشكل متسارع حتى نشوب الحرب على العراق في . / . / وأحتلاله فيما بعد حيث توقف التبادل الرسمي للعلاقات، ودخول المنطقة في جو جديد من العلاقات وبتأثير مباشر من لاعب رئيسي لتحريك العلاقات هو الولايات المتحدة الامريكية (الدولة المحتلة للعراق).

وبعد تشكيل أول حكومة عراقية في /) / برئاسة أياد علاوي ، توجهت الانظار الى اعادة العلاقات التجارية بين العراق وسوريا ، وتحقق ذلك من خلال فتح الحدود بين البلدين للتدفق الحر للبضائع والاشخاص ،دون ان يكون هناك ضابط ينظم هذه العلاقة ،وحتى تاريخ / / حيث تم الاعلان رسميا عن اعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

وقد تبع هذا الاعلان تدفق المزيد من البضائع والسلع وباتجاه واحد تقريبا هو العراق ،بعد ان تعطلت جميع المصانع والمعامل ،مع احتلال العراق عام وتدمير بنيتة التحتية وعلى راسها الكهرباء ، مما أدى الى توقف أنتاج القطاع العام والخاص . وتسريح أغلب العاملين في القطاع الخاص ، مما أدى لان يكون العراق ساحة لتصريف بضائع الدول المجاورة ومن بينها سوريا .

ثالثا / طرق المواصلات :

تعتبر الحدود البرية بين العراق وسوريا والبالغة أكثر من كم ، مجال واسع للتواصل بين البلدين ، حيث تتشكل المعابر الحدودية والطرق المؤدية اليها المنافذ الرئيسة لتبادل السلع والاشخاص بين البلدين .

وتشكل سكك الحديد التي تمتد بين العراق وسوريا وتركيا ، وهو ما سمي بقطار الشرق السريع ، وتربط الموصل بحلب والمدن السورية الاخرى ، طريق سهل ورخيص وامين لتبادل السلع وتنقل المواطنين بين كلا البلدين .

وقد تأثرت طرق المواصلات بين العراق وسوريا وخضعت للتأرجح في التواصل والانقطاع ، وهكذا كانت مع كل تشنج .

تغلق الحدود وتتوقف طرق النقل البري وتوقف القطارات المارة عبر سكك الحديد المشتركة بين البلدين .

وفي / / تم اعادة افتتاح خط سكك الحديد بين الموصل وحلب والمقفل منذ عام ، فضلا عن كون طرق النقل البري قد تم العمل بها قبل ذلك عندما تم فتح الحدود بين البلدين ، واقامة علاقات تجارية ، بعد افتتاح مركز التف الحدودي لرجال الاعمال بين البلدين في . / . / ، تلا ذلك استخدام كثيف لنقل البضائع عبر الحدود البرية بين البلدين ضمن اطار برنامج النفط مقابل الغذاء ، لغرض تأمين مفردات البطاقة التموينية العراقية عبر ميناء طرطوس السوري . وشكل مرور الشاحنات (الترانسيت) عبر الاراضي

---

[18] **قحطان أحمد سليمان، م . . .** .

[19] **وكالات الانباء ، الاشيوتدبريس / /** .

[20] **جريدة الصباح البغدادية / / /** .

[21] **قحطان أحمد سليمان ، م . . . . . .** .

[22] **المجلس العراقي للسلم والتضامن ، مرافى / العلاقات العراقية السورية في سطور h tt p/ www- marafea/peper.**

[23] **نفس المصدر السابق .**

[24] **قحطان أحمد سليمان ، م . . . . .**

السورية مصدر مالي مهم للحكومة السورية ، مما حدى بها للاستجابة لاحقا لتحسين علاقاتها الاخرى مع العراق .

وفي / / تم السماح بنقل الافراد بين العراق وسوريا عبر الطريق البري بين البلدين ولاول مرة منذ عشرين عاما[25] . وقد تم اتهام العراق وسوريا بتوريد قطع غيار للاسلحة العراقية من دبابات وطائرات الميغ المستوردة من جمهوريات اوربا الشرقية القديمة عبر تواطؤ التجار و سائقي الشاحنات السوريين من القطاع الخاص بنقل هذه المعدات لاعادة تسليح العراق ، لان ذلك يشكل خدمة كبيرة للمصالح الاستراتيجية للدولة السورية .

أثناء أحتلال العراق عام وبعد ذلك تم استخدام الطريق البري لانتقال المسؤولين العراقيين الفارين من الحرب وكذلك المواطنين العاديين الذين شعروا بالخوف والرعب من الحرب ، فضلا عن ذلك فقد تم انتقال الجاليات العربية والاجنبية بهروب جماعي من طوائف كبيرة من الشعب العراقي عبر الطريق البري الى سوريا نتيجة للحرب الطائفية التي نشبت آنذاك .

وفي مطلع العام زار الرئيس العراقي جلال الطلباني سوريا في اول زيارة لرئيس عراقي منذ عدة عقود مع وفد كبير من الوزراء ، تم خلال عقد العديد من الاتفاقيات ، في مجال النقل البري والجوي والبحري ، وأنشاء شركة نقل مشتركة ، واعادة تشغيل الشركات المشتركة للنقل ،وتطوير السكك الحديد بين البلدين ،وتطوير ميناء طرطوس لنقل البضائع عبره الى العراق ،وقد كانت الرحلات الجويه قد استوئنفت بين البلدين في وقت سابق .

وقد تم اتهام العراق وسوريا بتوريد قطع غيار للاسلحة العراقية من دبابات وطائرات الميغ المستوردة من جمهوريات اوربا الشرقية القديمة عبر تواطؤ التجار و سائقي الشاحنات السوريين من القطاع الخاص بنقل هذه المعدات لاعادة تسليح العراق ، لان ذلك يشكل خدمة كبيرة للمصالح الاستراتيجية للدولة السورية .

.- الديموغرافية / اللاجئين :

قبل كان في كلا البلدين سوريا والعراق لاجئين سياسيين من المعارضين لنظامي البلدين ، فالمنشقون السوريون البعثيون كانوا يسكنون في بغداد وتحت مظلة نظام حزب البعث في العراق ولعدة عقود ، وبالمقابل كان هناك عراقيون لاجئون وباعداد صغيرة في سوريا ممن يعارضون النظام في بغداد .

في البداية كانوا بعثيين وقوميين ، وبعد ذلك انظم اليهم الاسلاميين وبعض الاكراد ، وقد تهيأت لهم الفرصة أثناء غزو وأحتلال العراق ، وباتفاقات مسبقة مع الولايات المتحدة وبريطانيا التي رعت حضورهم في مؤتمر لندن وصلاح الدين شمال العراق ، لاستلام السلطة من القوات المحتلة ضمن اتفاقات جديدة كان ابرزها هو اتفاق جلال الطلباني مع بول برايمرفي (اتفاقية (/ تشرين الثاني /) ، والتي تنظم انتقال السلطة الى العراقيين واجراء انتخابات وكتابة الدستور .

بعد أختل ميزان اللاجئين لصالح العراق ، أذ هرب مئات الالاف من العراقيين باتجاه سوريا خوفا من الاحتلال والانتقام الذي يرافقه من قبل ميليشيا الاحزاب المؤتلفة معه . وكان النزوح الاكبر هو مطلع عام مع بداية الحرب الطائفية وتفجير قبتي الامامين في سامراء ، حيث وصل عدد اللاجئين الى أكثر من مليونين مواطن عراقي في سوريا فقط .

---

[25] **وكالات الانباء الاسيوشيتدبرس ، / / .**

[26] **جريدة النهار البيروتية ، /// .**

[27] **جريدة الصباح البغدادية .**

[28] **جريدة المشرق / / .**

وذلك حسب تقديرات الامم المتحدة وينبغي الاعتراف بفضل سوريا في موافقتها على استقبال هذا العدد الهائل من العراقيين ، في الوقت الذي تعاني فيه سوريا من نقص الموارد وضعف الاقتصاد الوطني ، مما شكل ضغط كبير على كاهل البنية التحتية السورية والحياة المعاشية لمواطنيها ، وفي المقابل يصعب الاعتراف باي فضل على الاطلاق للحكومة العراقية ، فهي طافحة باموال النفط ولا تأتي بخطوة تنم عن سخاء تجاه مواطنيها المنتشرين في الخارج [29] – وقد ورد ضمن توصيات المجموعة الدولية للازمات في تقريرها الموجه الى الحكومة الامريكية :

فصل قضية اللاجئين عن أي اعتبارات سياسية اخرى ، وجعل الدعم المالي المقدم الى اللاجئين في سوريا منسجما مع مستوى الدعم المقدم الى اللاجئين في الاردن .

– اما التوصيات الموجهه الى سوريا : فكانت تصب في وضع سياسة منسجمة لحماية اللاجئين الاكثر عرضة للتهديد والاذى ومنحهم وضعا قانونيا وذلك عن طريق ، استحداث فئة محدودة للعراقيين المؤهلين للحصول على تأشيرة دخول بناءا على تقديرات التهديد التي هم عرضة لها ، ووضع ومضاعفة بنى ملائمة في سفارتها في بغداد وفي نقاط الحدود للتدقيق في مثل هذه الحالات . وعلى الاقل بتسليم تأشيرات محددة الصلاحية . وكذلك شرعنة الوضع القانوني لهؤلاء الموجودين في سوريا والمعرضين حقيقة للتهديد [30] .

ولقد كانت مشكلة اللاجئين العراقيين في سوريا ورقة تبحث في أغلب لقاءات المسؤوليين العراقيين بالمسؤوليين السوريين فضلا عن المسؤولين الامريكيين الذين كانوا يزورون سوريا بمستويات دبلوماسية صغيرة ، وذلك بسبب التشيخ الامريكي تجاه سوريا ومقاطعتها لها .

وفي / . / زار رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي سوريا ووقع العديد من المحاضر المشتركة في جوانب متعددة ، وكان من نتائج الزيارة هو مطالبة الحكومة العراقية من السلطات السورية بفرض تأشيرة لدخول العراقيين الى سوريا كحل لضبط وجودهم في الاراضي السورية ، ولكن العراقيين رفضوا هذا القرار واعتبروه قيد مفروض عليهم .

.– السياسة :

أولا / الايديولوجية :

تشير الانسكلوبيديا البريطانية الى أن الايديولوجية هي مجموعة المعتقدات والنظريات التي تستخدم عادة كدليل للعمل والتي يمكن أن تشكل اسس برنامج سياسي – أجتماعي .

أما قاموس السياسة لجان مالينيون فانه يعرفها (بانها مجموعة متجانسة من الافكار الخاصة بفرد أو جماعة أجتماعية معينة) [31].

وقع بروز الوعي الوطني والقومي في كلا البلدين ، سوريا والعراق ومحاولتهما التخلص من الهيمنة الاستعمارية المتعاقبة عليهما ، فقد بدأ فكرا قوميا طليعا في سوريا استلهم طموحات بعض مفكري الامة العربية الاوائل في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين امثال محمد عبده، وجمال الدين الافغاني ، ورفاعه

---

[29] المجموعة الدولية للازمات ، تقرير المسؤولية المقصرة / اللاجئون العراقيون في سوريا والاردن ولبنان ، خلاصة تنفيذية وتوصيات ، المستقبل العربي ، العدد ،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت / / /

[30] نفس المصدر السابق ص / .

[31] قحطان أحمد سليمان ، م . . . .

[32] رياض عزيز هادي ، المشكلات السياسية في العالم الثالث ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ط / بغداد / /

[33] نفس المصدر السابق ص / .

الطهطاوي ، وطه حسين ، وغيرهم من المفكرين المتنورين الذين نظروا لمفهوم العروبة وتطلعات الامة ووحدتها ، ووضعوه في صلب أفكارهم وطروحاتهم .

وهكذا كانت هذه الكتابات والافكار منار أهتمام وتبني لمفكرين امثال ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار وآخرين ، كونوا بذلك نواة لهذه النهضة العربية الجديدة ،وتجمعت فيما بعد مع متطلعين آخرين نحو تأسيس حزب البعث في سوريا عام ، وقد انتقل هذا الحزب فيما بعد الى العراق عن طريق طلاب الجامعات الدارسين في سوريا ولبنان ، وبهذا فقد أصبح العديد من شباب البلدبن فيما بعد يعتنقون نفس الايديولوجية .

أن المناخ السياسي الذي كان قائما في مطلع خمسينيات وستينيات القرن الماضي ، شجع هذا الفكر القومي ليزدهر ، فضلا عن وجود منافس له في مصر وهو التيار الناصري الوحدوي شكلا فيما بعد دولة واحدة ، سرعان ماأنهارت بسبب النزاعات الشخصية وعدم الثقة بالاخر وانحراف النظرية عن التطبيق ، ومن الناحية العملية قام حزب البعث في سوريا والعراق بازاحة زمر حاكمة تعتمد العصبيات القبلية والطائفية .

غير أن كلا الحزبين في العراق وسوريا وقعا تحت سيطرة عشائرية اعتمدت على الولاءات ، وتعرض الحزبان لتطهيرات متواصلة من أجل ضمان ولائهما المطلق وخضوعهما التام للرموز الحاكمة .

وقد لايختلف الحزبان عن باقي الانظمة العربية في تركيبتها وسياستها فهي أنظمة وراثية وعائلية في أغلبها ولاتؤمن بالديمقراطية بشكل حقيقي ، ويعزى ذلك الى مستوى الثقافة العامة والبيئة الحاضنة ، والتركيبة السايكيولوجية للفرد العربي المنحدر من القبيلة أو الريف بشكل عام .

وقع استمرار مبادلة النظرية الايديولوجية بمشاريع دولة لكل البلدين ، فقد أستلم حزب البعث السلطة في سوريا عام وكذلك الحزب في العراق ، ولكن سرعان ما أعلن الأنتفاق بينهما لأسباب عديدة ، وضلا في عداء دائم بأستثناء فترة قصيرة عام – وهي الفترة التي التأم فيها الجمع العربي ردا على زيارة محمد انور السادات الى اسرائيل ، وعقد اتفاقية الصلح فما بعد ، وكان العراق وسوريا على هامش هذه الزيارة قد اتفقا على توحيد جهودهما لانشاء دولة وحدة و تمتين العلاقات بين البلدين ، و لكن هذا المشروع سرعان ما فشل و عادت القطعة كما كانت سابقا ،توجتها حرب العراق و ايران ، ووقوف سوريا مع الجانب الأيراني ،الى القطعة النهائية و اغلاق الحدود . -بعد حرب عام وفرض الحصار على العراق تنفست علاقات البلدين السياسية نهاية عقد التسعينيات و بداية القرن الحادي و العشرين ضمن زيارات متبادلة ، ابتدأت بالاقتصاد والتجارة ولكنها ازدادت أبان غزو وأحتلال العراق عام ولجوء القيادات البعثية والرسمية الى سوريا ، فقد عادت هذه المرة العلاقات الايديولوجية قوية جدا يعد دمج جناحي حزب البعث بالقيادة القوية السورية لحزب البعث ، وفسح المجال امام البعثيين العراقيين في ممارسة نشاطهم السياسي داخل سوريا بشكل طبيعي.

ثانيا / الاهتمامات السياسية المشتركة واولياتها :

لقد شكلت القضايا القومية اهمية مشتركة لكلا البلدين ، سوريا والعراق ، فقد كانت فلسطين في صميم النظرية البعثية لكلا الحزبين ، وبعد ذلك تحولت الى مواقف متماثلة ولقاء أيجابي بين البلدين ، كان ابرزه هو لقاء البلدين في قمة بغداد عام ردا على زيارة رئيس مصر آنذاك محمد أنور السادات الى أسرائيل . وقد تكللت هذه الفترة بخطوات مشروع الوحدة بين العراق وسوريا عام – ، والذي اجهض فيما بعد . قبل ذلك كان

---

[34] **سامي زبيده ، صعود وأنهيار المجتمع المدني في العراق ضمن كتاب المجتمع المدني حفريات سوسيولوجية، معهد الدراسات الاستراتيجية ط بغداد –بيروت ، .**

[35] **نفس المصدر السابق ص .**

هناك موقف أيجابي للعراق مع سوريا خلال حرب تشرين عام – عندما زحف الجيش الاسرائيلي نحو دمشق ، وعندها تحركت قوات في الجيش العراقي وبشكل سريع لانقاذ سوريا ، على الرغم من وجود قطيعة بين البلدين آنذاك وعدم وجود تمثيل دبلوماسي بينهما ، ولكن مقتضيات المصلحة القومية التي يؤمن بها البلدين شجعت حكومة بغداد وعلى أتخاذ هذا القرار والوقوف الى جانب دمشق . وقد شكل العراق عمقا أستراتيجيا كبيرا وأكثر أهمية من أي دولة أخرى مجاورة ، فضلا عن كونه ضمانا لسوريا سواء كان ذلك يمثل السياق التأريخي ام المرحلي وعلى الرغم من القطيعة السياسية بين العراق وسوريا بشكل شبه دائم فقد كانت أسرائيل تتردد في أتخاذ أي عمل عدائي أتجاه سوريا ، وقد شكل ضرب أسرائيل عام – بالصواريخ العراقية فرحة عارمة لدى الشارع السوري ، ناهيك عن رد فعل القوات السورية التي راحت تطلق العيارات النارية في الهواء أبتهاجا بذلك ، فيما كانت تقف هي في مواجهة الحدود العراقية مع التحالف الدولي لتحرير الكويت ، وأن كان حضورها رمزي أذ كان تواجدها في الخطوط الخلفية ، ولم تصطدم بالجيش العراقي أو تمارس أي فعالية عسكرية معادية للعراق .

ومن بين القضايا التي شكلت اهتماما مشتركا هي قضية فلسطين وتحريرها ، وهكذا كانت جميع الفعاليات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية تصب في هذا المجال ، وقد كان أعلان تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية عام – هو هدف أستقبل بترحيب كلا البلدين ، ولكن سرعان ما عملت النخب السياسية لكلا البلدين فيما بعد لتجنيد عمل هذه المنظمة لصالحها ضمن اطار التنافس السياسي و الشحناء الغير مبرره ، وهكذا فقد اخذ كل بلد فصيل من هذه المنظمة يعمل لحسابه ويلقى دعمه فضلا عن تجنيد بعض الاعمال العسكرية خارج اطارها التحرري وتحويلها لتشكل رصيد سياسي لكل واحد من البلدين .

اما في المحافل الدولية فقد كان البلدان يقفان على حافة واحدة في قضايا الامة ومنها فلسطين و القرارات الدولية لمتعلقة بها ، وكانت الامم المتحدة ومنظمة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الاسلامي والجامعة العربية هي ميادين لذلك ايضا .

وشكل التدخل الامريكي في المنطقة موقفا موحدا للبلدين لاسيما بعد فرض الحصارعلى العراق، وتلويح الولايات المتحدة التدخل في العراق وضربه واحتلاله ِ فيما بعد .فقد واجهت سوريا ذلك بقوة حتى أنها وقفت موقفا ايجابيا واضحا مع العراق، تكلل ذلك بأمتناعها عن التصويت في مجلس الامن لصالح التدخل العسكري الامريكي في العراق عام –.

وقد تعرضت بسبب موقفها هذا الى ضغوط كبيرة استمرت فيما بعد مع احتلال وغزو العراق ، وتهديدها بشكل مباشر من قبل الولايات المتحدة بأنها الهدف الثاني بعد العراق .

المبحث الثاني /

المطلب الاول: موقف سوريا من غزو وأحتلال العراق

ربما لايوجد في ديدن السياسة خط واحد لتبادل العلاقات ، فهناك صعود ونزول في مستوى العلاقات بين أي بلدين في العالم وعلى مر التأريخ .

هكذا هي السياسة كما عرفناها دائما . وقع تلويح الولايات المتحدة الامريكية بضرب العراق عسكريا نتيجة لعدم امتثاله لقرارات مجلس الامن ذات الصلة وتطويره اسلحة دمار شامل حسب ماتدعي تارة وتارة أخرى في دعمه للارهاب متمثلا في القاعدة فقد تصدت سوريا لهذا التهديد ورفضته وعبرت عنه بشكل واضح وجلي ووقفت مع العراق في رفضه لكل أشكال التهديد ، وجاء ذلك من خلال عضويتها في مجلس الامن الدولي ضمن قائمة

---

[36] **مركز الجزيرة للدراسات والعلاقات بين العراق و سوريا من وجهة النظر الجيوستراتيجية، /// –**

الاعضاء الغير دائميين ، وبقية الاعضاء الذين لم يمرروا صيغة (الخرق المادي) تترجح عادة بالعواقب الـ يمة ، وهو تعبير مرادف للحرب .

وقد أحتضنت سوريا للعديد من الفعاليات الشعبية والجماهيرية القومية بهدف تحشيد الرأي العام العربي والدولي ضد الهجوم الامريكي المرتقب ، فقد انعقد مؤتمر لدعم العراق في وجهة التهديدات الامريكية في دمشق وبحضور طارق عزيز ونحو شخصية .

وفي / . / – جدد فاروق الشرع وزير خارجية سورية رفض بلاده لاي تدخل عسكري أمريكي في العراق (مهما كانت الدوافع) .

وبعد ساعة من بدء العمليات العسكرية الامريكية ضد العراق في /) / – أجتمعت الجبهة الوطنية التقدمية في سورية (وهي اعلى هيئة سياسية حاكمة في سوريا) لتصدر بيانا يدين الاعتداء الهمجي على العراق ويدعو الى وقف فوري للحرب .

وقد أستمر موقف سوريا السياسي رافضا لاحتلال العراق ، وعززت ذلك باستضافة اعضاء في قيادة حزب العراق وعدد كبير من المسؤولين وعوائلهم داخل سوريا ، وهيأت لهم جميع المتطلبات . ولكن سوريا لم تستمر بممارسة دور الرافض للاحتلال فقد وافقت على قرار مجلس الامن

مجلس الامن – والقاضي بأقرار واقع الاحتلال من قبل الولايات المتحدة الامريكية للعراق ، ولن ينفع ممثل سوريا الدائم في مجلس الامن تغيبه عن حضور جلست التصويت ، فقد صوت لاحقا وبعد ان ضغطت الولايات المتحدة بكل ثقلها على سوريا لكي توافق على اصدار هذا القرار، وان كان رفض سوريا التصويت لايغير في تمرير هذا القرار الذي لم يعترض عليه احد من اعضاء مجلس الامن الخمسة الدائميين ولكن موافقتها كانت تعني شيئا معنويا للولايات المتحدة، كون سوريا تمثل العرب في هذا المجلس وهذه الدورة.

المطلب الثاني /

ضغوط الولايات المتحدة على سوريا لقبول الواقع الجديد في العراق :

بعد الدخول القوي والكبير لقوات الاحتلال الامريكي والدول المتحالفة معها مثل بريطانيا وايطاليا واسبانيا وغيرها من الدول الى العراق ، فقد ادركت سوريا خطورة الاستمرار بلعبة الرفض العلني لوجود القوات الامريكية بالعراق ، وقد تجسد ذلك من خلال تصريح وزير خارجية سوريا في / / – أن بلاده على أستعداد للتعاون مع أول حكومة عراقية تشكل في مرحلة ما بعد صدام[37] .

لقد تمثلت ضغوط الولايات المتحدة الامريكية على سوريا باتجاهين ، أولهما هي الضغوط السياسية والحربية وثانيهما الضغوط الاقتصادية فلقد جاءت الضغوط السياسية على لسان المسؤولين الامريكيين وعلى رأسهم رئيس الولايات المتحدة الامريكية بنتيجة واضحة التأثير في توجيه مسارات العلاقة بين العراق وسورية ، وسورية والولايات المتحدة .

---

[37] **هانزفون سبونيك بعد الحرب وما قبل السلام : العراق الى أين ، مجلة المستقبل العربي ، السنة : ، العدد / تموز – . : . وللمزيد أنظر حميد قفل النداوي ، الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق ، مجلة السياسية والدولية العدد السنة الثانية – – .–**

[38] **موقع المجلس العراقي للسلم والتضامن ، موقع مرافئhttp / www marar fea/ peper**

[39] **وكالة ساتا / / .**

[40] **وكالة ساتا / / .**

[41] **موقع المجلس العراقي لسلم والتضامن / عراقي على شبكة الانترنيت**

فقد أصبحت سوريا الهدف الامريكي التالي بسبب مواقفها المناهضة لاسرائيل ، ورفضها التوقيع على أتفاقية سلام لاتعيد لها أراضيها المحتلة في الجولان ، ورفضها للعدوان الامريكي – البريطاني على العراق ، وقد انهالت الاتهامات الامريكية لسوريا ، فقد أتهمها الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش بحيازة أسلحة كيمياوية ، وأعتبرتها الخارجية الامريكية دولة أرهابية أما بول بريمر فقد أعتبرها ممر الجهاديين الانتحاريين الاجانب القادمين الى العراق واضاف في لقاء متلفز بينه وبين رامسفيلد في واشنطن والجنرال أبي زيد في مقر القيادة الوسطى في تامبا مع عرض صور لمتسللين عبر الحدود العراقية السورية ، أن هذه الحدود طويلة وهي تشكل أيضا طريقا أساسيا للبعثيين الفارين من العراق ، وأضاف بريمر أن ولايات المتحدة سعت علنا الى الضغط على سوريا لكبح هذا النشاط ، لكن سورية التي يحكمها حزب بعثي خاص بها، أبدت عدم أهتمامها بالضغوط الدبلوماسية أو الاقتصادية ولكن ربما لاتكون حصينة أمام تدخل عسكري مباشر والرئيس بشار الأسد،يعرف ذلك غير محتمل الوقوع حاليا،حيث ان القوات الأمريكية منشغلة في العراق وافغانستان .

وقد تحولت في بعض الأحيان الضغوط الأمريكية الى اعمال حربية عدائية ، حيث تعرض عدد من الطلبة السوريين العائدين من العراق الى سوريا لقصف حافلتهم من قبل الطائرات الأمريكية الحربية ، مما ادئ ذلك الى اصابتهم بشكل مباشر وقتل وجرح عدد منهم دون أي تبرر لذلك العمل العسكري ، لاسيما وأن هذا اعتداء حصل داخل الاراضي السورية .

وتلاحقت الضغوط الامريكية على سوريا من خلال تصريحات المسؤولين الامريكيين لغرض تطويعها وانتظامها في صفوف المؤيدين فقد أكدت وزيرة الخارجية الامريكية كوندوليزا رايس.

ان الولايات المتحدة ستواصل ضغوطها على سوريا اذا لم تغير سلوكها الذي وصفته بالوذي للفلسطينين والعراقيين و اللبنانيين . وقبل ان يتنحى وزير الخارجية الامريكي كولن باول من منصبه ، التقى مع نظيره السوري فاروق الشرع ، على هامش مؤتمر شرم الشيخ المتعلق بالعراق ، حيث بحث الجانبان موضوع مراقبة الحدود السورية العراقية ، ومطالب امريكا بهاذا الخصوص ، وصرح باول بأنه طلب من نظيره السوري تحديد هوية ممولي التمرد في العراق . وفي زيارة مفاجئة قام بها وزير الدفاع الامريكي رونالد رامسفيلد الى بغداد ، ابلغ خلالها الحكومة العراقية التعجيل بكتابة الدستور ، والاعلان عن تورط سوريا وايران بعمليات مسلحة في العراق . وقد سارعت القوات الامريكية ضمن حلقة الضغوط العسكرية على سوريا بأقامة اول قاعدة عسكرية لها على الحدود العراقية مع سوريا ، في مجهود لمنع التفجيرات الانتحارية من الوصول الى اهدافها ببغداد و سائر المدن الرئيسية من العراق ،وهي رسالة في ذات الوقت على تواجد القوات الامريكية بالقرب من سوريا . وفي خطاب الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش عن حالة الاتحاد ، جدد دعوته الى احلال الديمقراطية في الشرق الاوسط ، معتبرا انه لايجب تجاهل حرية الشعوب في اماكن مثل سوريا و ايران ، و رأى ان القوات الامريكية

---

[42] قحطان احمد سليمان ، م . . .

[43] بول بريمر ، عام قضيته في العراق ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ،

[44] صحيفة الشرق الاوسط ، / / .

[45] يوميات ، المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد / ، بيروت / عن جريدة السفير

[46] الاهرام القاهرية ، / // .

[47] النهارالللبنانية ، / / .

[48] القدس العربي ، لندن ، /// .

[49] يوميات المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد / ، بيروت / ،عن جريدة لوس انجلس تايمز /// .

في طريقها الى كسب الحرب في العراق · وفي بيئة الصراع الذي اوجدته الولايات المتحدة الامريكية لنفسها إزاء احتلال العراق ، فقد سهل ذلك لأسرائيل ان تجد عراق ضعيف ومقسم طائفيا و حليفا ضد جاريه سورية و ايران ، ونقطة و ثوب الى الخليج العربي وقلب اسيا ،حيث طموح اسرائيل في ان تكون شريكا للسيطرة على الثروة النفطية للخليج العربي و بحر قزوين · بعد ان كان العراق يشكل عمقا استراتيجيا لسوريا في صراعها مع اسرائيل وقد وجه الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش ، انتقادا حادا لسورية ، بعد ان اثخنت هجمات المقاومين في العراق دماء الامريكيين ، حيث قال ان صبره قد نفذ مع الرئيس السوري بشار الاسد و عزا بوش نفاذ صبره لاستضافة سورية حركة حماس ومساندة حزب الله ، وتسلل الانتحاريين من الاراضي السورية الى العراق ·. اما في مجال الضغوط الامريكية الاقتصادية على سوريا ، فقد تم ايقاف تدفق النفط العراقي المار عبر الانابيب الى سوريا بـ الاحتلال مباشرة . وقد اجرى وزير المال السوري محمد الحسين محادثات في واشنطن مع مساعد وزير الخزانة الامريكي لشؤون مكافحة الارهاب و تبييض الاموال ، اذ انهيا خلالها ((معالجة المسائل التي كانت عالقة بينهما)) بشأن قضية العقوبات التي قد تفرض على ((المصرف التجاري السوري)) التابع للدولة ، وكانت الولايات المتحدة قد اعربت عن ((مخاوف)) من تورط المصرف في عمليات تبييض اموال و تمويل انشطة ارهابية)).

ولقد استمر موقف الولايات المتحدة رافضا الانفتاح الدبلوماسي على جيران العراق مثل سوريا و ايران فقد شدد الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش في كانون الثاني ضمن اعلانه عن استراتيجيته الجديدة في العراق ، واهمها ارسال جندي اضافي الى العراق للسيطرة على التمرد سيما في بغداد و ضواحيها ، وشدد على ان الولايات المتحدة ((ستوقف تدفق الدعم من سورية وايران)) و ان الولايات المتحدة ستبذل المزيد لكي يدرك اصدقاؤها في الشرق الاوسط ان مصلحتهم تقضي باستقرار الاوضاع في العراق . ان حجم التمرد وعدد الخسائر التي وقعت بين صفوف القوات المسلحة الامريكية وسواها من العراقيين ، وكذلك اقتراب موعد انتخابات الكونغرس الأمريكي ، والتي تشكل اهمية قصوى لاستمرار سياسة مريحة لبوش في العراق اذا ما حصل الحزب الجمهوري (حزب الرئيس) على اغلبية اعضاء مجلس النواب الامريكي ، ولكن النتائج لم تكن ايجابية مع الجمهوريين فقد خسروا اغلبية الكونغرس و لصالح الديمقراطيين ، بعد ان هبطت شعبية الرئيس و حزبه ،كل هذه الأسباب دفعت لطرح السؤال المهم (ما الاستراتيجية البديله التي يمكن ان تعطي نتائج افضل للمتدخلين او للعراق) ؟ ففي سنة بدأت العديد من الهيات العمل على صياغة افكار للأنسحاب من العراق ، واطلقت الادارة الامريكية مجموعة دراسة العراق المكونة من الحزبين في اذ)) ، برئاسة وزيرالخارجية الامريكية الاسبق جيمس بيكر، وعضو الكونغرس الامريكي السابق لي هاملتون . وقد انطلقت هذه المجموعة للبحث عن حلول ، وقد نشرت في كناون الاول صورة كئيبة عن الوضع في العراق ، وقد جاء ضمن توصياتها اطلاق هجوم دبلوماسي كبير بعيد ربط عملية المصالحة العراقية بعملية السلام في الشرق الاوسط ، بما في ذلك

---

[50] **الشرق الاوسط ، لندن ، /// .**

[51] **حميد نقل النداوي ، م. .. . .**

[52] **القدس العربي ، لندن ، / / .**

[53] **يوميات المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد ، بيروت / عن جريدة السفير اللبنانية في // / . معهد أستكهولم للسلاح الدولي ، المعهد السويدي بالاسكندرية ، وباشراف مركز دراسات الوح**

[54] **بال دوناي وزدز سلولاتشوفسكي ، الامن والمؤسسات الآورو – اطلسية ، من ضمن كتاب التسلح ونزع السلاح الدولي ، الكتاب السنوي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، دة العربية . –– ، بيروت . .**

فتح حوار مع أيران وسوريا . وعلى النقيض من توصيات لجنة بيكر هاملتون فقد أتخذت الولايات المتحدة قرارات تنفيذية لمعاقبة سوريا ، فقد أصدر الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش قرارا تنفيذيا بفرض عقوبات أقتصادية على مسؤوليين سوريين لم يحددهم ، معتبرا ان هؤلاء المسؤولين لهم علاقة بتهديد الجهود المبذولة لتحقيق الاستقرار في العراق ، وبعضهم متورط في الفساد . وقد ورد في تقرير عن مستقبل العراق في مؤتمر ديتشيلي بارك ، اكسفورد دشاير بتأريخ – / / / ،أن هناك أختلاف في الرأي على دور جيران العراق وبينهم سوريا في أن تقدم أسهامات مهمة للتنمية العراقية . ولابد أن يتم هذا بحرص حيث أن العراقيين والامريكيين على السواء حساسون أزاء أي محاولات لتدخل خارجي في العراق ، وهذا يدلل على أن الولايات المتحدة أخذت على عاتقها تحديد علاقة العراق بجيرانه وحسب طبيعة النظام وقربه اليها ، وقد اعتمدت في خياراتها ((صفر)) في علاقتها الدولية ، الامر الذي لايتيح للقوى الاخرى مشاركتها القوة ، بل يكرس حصول واشنطن على ما تريد مقابل أذعان الاخرين وانصياعهم التام . أن هذه لاتبعث على اقامة علاقات دولية ناجحة ، بل تؤدي الى مزيد من الشحن والاحتقان قد تستغله الدول فيما بعد عندما تكون الولايات المتحدة

في موقف لاتحسد عليه ، وهذا ما حصل بالضبط لامريكا بالعراق ، فقد أستخدمت الدول الغير منظوية تحت لافتة الولايات المتحدة،جميع أوراقها المعرقلة لهذا الوجود ومن بينها بالتأكيد سورية .

أن القراءة الخاطئة للولايات المتحدة دفعت بها الى المزيد من التردي في العراق ، فقد تصورت أدارة بوش أن أزالة نظام صدام حسين عن السلطة باستخدام القوة العسكرية واقامة نظام ديمقراطي في العراق ، يكفي فقط بأحداث تغيرات في دول الجوار، فتتهاوى باقي الانظمة الواحدة تلو الاخرى ، كما تسقط احجار الدومينو ، انطلاقاً من اقامة عراق حر في قلب الشرق الاوسط ، ماهو الا حدثا مفصليا في الثورة الديمقراطية العالمية.

والواقع ان النموذج العراقي قد اثار هلعا في نفوس الانظمة العربية كافة فضلا عن ايران، والتي ادركت ان المخطط لم يعد مقصورا على العراق فحسب ، بل انه بات قاب قوسين او ادنىء منها .

وكان من بين اهداف مشروع الولايات المتحدة المصاحبة لاحتلال العراق هو محاصرة سوريا و ايران عن طريق العراق ، وكذلك تفتيت وتمزيق الدول العربية الى دويلات صغيرة ، وقد بدأت بالفعل في السودان وتحاول في العراق ، ثم بعد ذلك في سوريا ، ليمتد طريقها فيما بعد الى حلفائها مثل السعودية و مصر .

وقد انتظمت سوريا دبلوماسيا مع مجموعة دول جوار العراق في الاجتماعات الدورية التي تناوبت عليها عواصم الدول المحيطة بالعراق ، بناءا على رغبة واصرار الولايات المتحدة الامريكية في تأمين بيئة اقليمية حاضنة للعراق غير طاردة ، واستمر هذا الضغط برغم عدم وجود تمثيل دبلوماسي بين العراق سوريا وباقي الدول العربية ، ولكن هذه الاجتماعات استمرت ، وقد اثمرت في بعض الاحيان في استتباب الامن واستقراره داخل العراق ، وقد اعترفت الولايات المتحدة على لسان مسؤوليها بذلك .

---

[55] **نفس المصدر السابق ، ص .**

[56] **يوميات ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد ، ربيع ، عن قناة بي بي سي توزع / / .**

[57] **تقرير عن مستقل العراق في مؤتمر ديتشيلي بارك ، أوكسفورد ديشاير، المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد / بيروت ، / / .**

[58] **حميد ثقل النداوي ، م. . . /**

[59] **حسين مصطفى أحمد ، قراءة في مشروع الشرق الاوسط الكبير والمحاولات المطروحة لاصلاح النظام الاقليمي في العراق ، المجلة السياسية والدولية ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، العدد / .**

[60] **نفس المصدر السابق ص .**

وقد استغلت سوريا قضية العراق في هذه المحافل وغيرها ، منبرأ سياسيا واعلاميا لطرح مشاكلها ورؤاها ، كما حدث ذلك في مؤتمر دول جوار العراق في تركيا / /. . وقبل ذلك شاركت أيران وسوريا في مؤتمر الدول المجاورة للعراق بشأن المسائل السياسية والامنية في شرم الشيخ بمصر منتصف عام / كما حضر مساعدا وزيري خارجيتهما مؤتمر المتابعة في بغداد في أيلول من نفس العام .

وخلافا لمعظم التطورات الخارجية الاخرى في عام فأن لمبادرة حوار الجيران بعض التأثير الايجابي في القوى المحركة للعنف في العراق .

ومن جانب آخر فقد وجهت سوريا اتهامات لواشنطن بمساعدة اسرائيل في تنفيذ الغارة الجوية على موقع البر السوري في ايلول ، والذي تقول واشنطن أنه يضم مفاعلا نوويا يبنى بمساعدة كوريا الشمالية ، فيما قالت سوريا أنه مجرد موقع عسكري . ومن الجانب الاخر فقد تناغمت سوريا مع الولايات المتحدة ، أذ أفشلت محاولة تفجير السفارة الامريكية في دمشق وعبرت وزيرة الخارجية الامريكية كونداليزا رايس عن امتنانها لافشال القوى الامنية السورية محاولة التفجير . ، لكن واشنطن لم تدع المناسبة تمر دون أن تطالب سوريا باغلاق مكاتب تعتبرها واشنطن (أرهابية) . ولقد ابقت واشنطن على تمثيل دبلوماسي ضعيف جدا مع سوريا ولم تقطعه ، بينما ابقت سوريا على تمثيل اكبر في واشنطن ، وقد زارت العديد من الوفود الامريكية الرسمية وغير الرسمية وعلى مستوى محدود من المسؤولية مثل نائب وزير الخارجية الامريكية ، آرميتاج ، وكذلك وفد لجنة بيكرهاملتون حيث أستمعت هذه اللجنة لتقييم سوري للوضع في العراق من قبل وزير الخارجية السوري وليد المعلم ، وقدم الوزير استعداد سوريا للمساهمة في تحقيق الاستقرار في العراق . ومع تولي الرئيس الامريكي باراك اوباما مهامه كرئيس للولايات المتحدة الامريكية وتقديمه خطاب بعنوان (مسؤولية انهاء حرب العراق) ، فقد جاء فيه وبشكل مغاير لخطاب سلفه بوش أن الولايات المتحدة ستتبع نهجا مبدئيا مستداما مع كافة بلدان المنطقة وسيشمل ذلك أيران وسوريا ، واضاف ان هذا الامر يعكس حقيقة اساسية : وهي اننا لايمكننا بعد الآن مواجهة التحديات الاقليمية عبر العزل – نحتاج الى مقاربة اذكى ودائمة بشكل اكثر وشاملة . ومع اقتراب التغيير السياسي للولايات المتحدة الامريكية ، ومجئ زعامة جديدة للبيت الابيض ويأس الولايات المتحدة الامريكية في تحقيق نصر داخل العراق ، وأزدياد تأثير التمرد في افغانستان فضلا عن أنهيار التأييد الشعبي داخل الولايات المتحدة للحرب في العراق وافغانستان وبداية ملامح الانهيار الاقتصادي ، كل هذه الاسباب دفعت بالولايات المتحدة لتبني خطاب سياسي جديد ، لاسيما وأن حملة باراك حسين اوباما لنيل منصب الرئاسة تكللت بالنجاح بعد رفعه شعار(Change) تغيير .

المبحث الثالث /

خيارات صانع القرار الوطني لكلا البلدين :

---

[61] **يوميات المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد) ، بيروت / /**

[62] **اكاترينا ستيبانوفا ، اتجاهات في الصراعات المسلحة ، كتاب التسلح ونزع السلاح والامن الدولي الكتاب السنوي ، باشراف ومشاركة مركز دراسات الوحدة العربية ، ومعهد ستوكهولم للابحاث السلام الدولي والمعهد السويدي بالاسكندرية ط ، بيروت / / / .**

[63] **يوميات المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد ، شتاء .**

[64] **جريدة السفير البيروتية ، / / .**

[65] **يوميات المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد ، شتاء .**

[66] **نفس المصدر السابق ، عن جريدة الدايلي ستار ، بيروت ، / / .**

[67] **يوميات المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد / ، بيروت / .**

قبل لم تكن هناك ضغوط خارجية واضحة المعالم على صانع القرار في العراق و سوريا ، في تحديد مسار العلاقات بين البلدين ،وان كانت هذه العلاقات تتسم بالتشدد والتجافي في أغلب الاحيان . وفي سياق الحديث عن العلاقات بين العراق و سوريا بعد غزو واحتلال العراق في ، فقد كان صانع القرار الوطني في العراق شبه غائب بسبب هيمة سلطة الاحتلال الامريكية، وتوجيها لمسار العلاقات الخارجية بين المجتمع الدولي بشكل عام وسوريا بشكل خاص .لقد جاءت زيارات المسؤولين العراقيين الى سورية بعد وقبل تشكيل الحكومة المنتخبة في اغلبها ، هي لتنظيم الملف الامني وضبط الحدود ومنع المتسللين المسلحين الى داخل العراق ،وان كانت تغطى هذه الزيارات بجداول عمل لمواضيع اخرى .

فقد كانت زيارة رئيس وزراء العراق في الحكومة العراقية الانتقالية الاولى (اياد علاوي)هي الزيارة الاولى لمسؤول عراقي رفيع المستوى الى سوريا بعد عام ،وقد تم التأكيد في هذه الزيارة على اعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين و بأسرع وقت ممكن ، وتشكيل لجنة امنية مشتركة لمراقبة الحدود الممتدة على طول / **كم** . وبالفعل فقد تم افتتاح سفارة العراق في دمشق ومن جانب واحد في)/ . / ˙ ، لتسهيل امور اكثرمن مليون عراقي لاجئ في سوريا .وقد جاءت الاتهامات تباعا من قبل مسؤولين عراقيين الى سوريا ، كانت في اغلبها صدئ لتصريحات مسؤولين امريكان او بتوجيه منهم ، فقد اتهم وزير الدفاع العراقي سعدون الدليمي سوريا بأرسال معظم السيارات المفخخة التي تتفجر في العراق وقال انها تأتي من سوريا ˙. وقد رد وزير خارجية سورياعلى هذه الاتهامات مبينا انها تفتقر الى دليل او مصداقية ˙. ومع تنامي قوة التمرد واتساع رقعته الجغرافية فقد اتهمت وزارة الدفاع العراقية ، سوريا بالسماح للمسلحين على اراضيها بإقامة تدريبات على الهجمات الانتحارية ، والتسلل الى الاراضي العراقية . وبالرغم من هذا الشد في العلاقة بين العراق وسوريا على خلفية التمرد الواسع في العراق ، فقد كانت هناك مساحات زمنية تبادل فيها المسؤولون السوريون وجهات النظر مع المسؤولين العراقيين ، فقد جاءت اول زيارة لمسؤول سوري الى بغداد في . / . / ، عندما زار بغداد وزير الخارجية السوري وليد المعلم ، وصرح المعلم بأن سوريا تدعم الحكومة العراقية وتأمل في تحديد جدول زمني لانسحاب قوات الاحتلال (الامريكي) من العراق) وقد اجرئ الوزيرالسوري محادثات مع جلال الطالباني الرئيس العراقي ، ورئيس الحكومة نوري المالكي ، وسط انباء تحدثت عن مطالبة المسؤولين العراقيين لسوريا بالعمل على تبادل المجرمين بين البادين، وعدم تسوية خلافاتها مع واشنطن أو أية دولة على حساب العراق ، ورد المعلم بأنه ليس وسيطا للولايات المتحدة الامريكية ، ولم يأتي الى بغداد ارضاء لأحد .وقد اختتمت الزيارة بأعلان الجانبين أعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، بعد قطيعة طويلة) وقد شارك العراق في استحقاقاته القومية المترتبة في اجتماعات القمة العربية حيث حضر الرئيس العراقي جلال الطالباني ، مؤتمر القمة العربي الدوري والذي عقد في دمشق ، وجاء في البيان الذي بينته القمة (الدعوة للحفاظ على وحدة العراق ، ارضا و شعبا ، والتمسك بهويته العربية و الاسلامية ، و ضرورة تحقيق المصالحة الوطنية الشاملة و الاسراع في أنهاء

---

[68] **موقع المجاس العراقي للسلم والتضامن ،مرافئ .**

[69] **جريدة الصباح البغدادية ، / / .**

[70] **يوميات المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد ، بيروت ايلول .**

[71] **نفس المصدر السابق .**

[72] **يوميات المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية العدد ، بيروت ، / ، عن جريدة الواشنطن بوست ، واشنطن / / .**

[73] **جريدة السفير ، بيو / / .**

[74] **يوميات المجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد ، شتاء .**

الوجود الاجنبي) ، وقد كانت هذه المطالب وبالاغلب الاعم هي هواجس الدول العربية الحاضرة للقمة ، بينما لم تكن كذالك بالنسبة لبعض الساسة العراقيين .

وبعد سلسلة من المباحثات عينت سوريا سفير) لها في بغداد (نواف فارس) وهو اول سفير لسورية في بغداد منذ عام).

ولم تخفي دمشق هواجسها من عملية خروج القوات الامريكية ضمن اتفاقية امنية مبرمة ، فقد رأى الرئيس السوري بشار الاسد في كلمة افتتح بها اعمال الدورة الثانية للبرلمان العربي الانتقالي في دمشق ، أن الاتفاق الامني المقرر توقيعه بين العراق والولايات المتحدة يهدد دول الجوار العراقي و الامن القومي ككل ،وشدد على ان الاستقرارلن يتحقق في العراق الا بأنسحاب الاحتلال و المصالحة الوطنية .

وفي زيارة لوزير خارجية سوريا الى العراق ، اجرئ خلالها محادثات مع الرئيس العراقي جلال الطالباني ، ورئيس الوزراء نوري المالكي ونظيره العراقي هوشيار زيباري ، أكد وليد المعلم على تطور العلاقات بين البلدين ، واعلن كذلك أن دمشق جاهزة لتقديم المساعدة للازمة لانجاح قرار الرئيس الامريكي باراك اوباما للخروج من العراق ، لكنه اضاف أن الولايات المتحدة لم تطلب مساعدتنا ، وكان هذا التصريح عبارة عن غزل سياسي واضح للولايات المتحدة ، بعد أن استحسنت دمشق خطاب الرئيس الامريكي الجديد باراك اوباما في اول استلام رسمي لمهام عمله في البيت الابيض .

وفي تطور واضح لنمو العلاقات بين العراق و سوريا ، قام رئيس الوزراء السوري محمد ناجي العطري بزيارة ناجحة الى العراق ، افضت الى توقيع مذكرة تفاهم مشتركة مع رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي تتضمنت مجالات متعددة مثل النفط والتجارة و الطاقة الغاز وافاد رئيس الوزراء العراقي ، أن الجانبين اتفقا على تأهيل الخط الناقل للنفط عبر الاراضي السورية ، في اشارة الى خط انابيب كركوك –بانياس .

ومع التطور الايجابي للخطاب السياسي الامريكي تجاه سوريا ، فقد صرفت دمشق النظر عن القرار الامريكي بتجديد العقوبات الاقتصادية عليها لمدة عام آخر ، واعتبرته دمشق قرارا روتينيا على الرغم من أن البلدين يدخلان في حوار من اجل تحسين العلاقات الثنائية ، وكان البيت الابيض قد اعلن أن الرئيس الامريكي اوباما ، جدد العقوبات المفروضة من قبل الادارة السابقة على دمشق باعتبارها ((لاتزال تدعم حماس وحزب الله في لبنان ، وتغض النظر عن دخول المسلحين الى العراق عبر حدودها)) . ولقد تلاحقت الزيارات المتبادلة بين مسؤولين عراقيين وسوريين لكلا البلدين بشكل شبه منتظم كان ابرزها هي الزيارة الثانية لرئيس الوزراء العراقي نوري المالكي الى دمشق في . / / حيث انتظم معه في الزيارة العديد من الوزراء ، وكانت هناك حزمة اتفاقيات تم توقيعها بين الجانبين ، ولكن التفجيرات العنيفة حدثت بعد يوم واحد من هذه الزيارة في بغداد ، وسميت باحداث يوم الاربعاء الدامي ، تعرضت فيها مؤسسات حكومية عراقية سيادية الى التفجير بسيارات مفخخة يقودها أنتحاريون ،كانت واحدة منها تستهدف وزارة المالية والثانية تستهدف وزارة الخارجية ، حيث سقط المئات من القتلى والجرحى نتيجة لشدة الانفجارات وتدمير بنايات الوزارات المستهدفة وعمارات سكنية مجاورة والمئات من السيارات المركونة والمارة في الشوارع القريبة ، لقد كانت هذه الحادثة فاجعة أليمة للشعب العراقي بشكل كامل ، حيث لم تكن هذه التفجيرات تستهدف منطقة محددة أو طائفة أو قومية محددة كما كانت

---

[75] يوميات الميتقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد / ، بيروت /

[76] يوميات المستقبل العربي ، مركزدراسات الوحدة العربية العدد / بيروت /

[77] يوميات المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية العدد / بيروت /

[78] يوميات المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية العدد / بيروت /

[79] يوميات المستقبل العربي، مركزدراسات الوحدة العربية العدد / بيروت /

[80] يوميات المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد ، بيروت / .

سابقاتها بل كانت تستهدف وبشكل مباشر مؤسسات الدولة السيادية ومنازل المواطنين الابرياء ، فضلا عن كون هذه المؤسسـات تحوي موظفين مدنيين لاحول لهم ولاقوة في أي عمل سياسي ، وقد كان رد فعل سريع من الحكومة العراقية بأتهام دمشق في تدبير هذه العملية من خلال أيوائها المعارضة العراقية ، ممثلة بقادة حزب البعث المتواجدين في سوريا وعلى رأسهم محمد يونس الاحمد .

ولقد توالت تصريحات أخرى من مسؤولين رسميين وسياسيين في توجيه الاتهام الى تنظيم القاعدة وحزب البعث ، وحاضنتهما سوريا .

لكن بالمقابل رد السوريين على الاتهامات واعتبروها غير اخلاقية ، كما جاء على لسان الرئيس السوري بشار الاسد .

وقد تم تشكيل مباحثات ثلاثية بين العراق وسوريا وتركيا بوساطة تركيا حضرها الامين العام لجامعة الدول العربية في تركيا لأيجاد حل للمشكلة المتفاقمة بين العراق وسوريا ، ولكنها لم تفضي الى نتيجة حيث ظلت الاتهامات موجهه الى سوريا ، بينما انكرت سوريا ذلك الفعل . وقد لعبت قبل ذلك وساطات كل من أيران وتركيا ، بحضور وزيري خارجيتهما بالتناوب على بغداد، وبعد التفجيرات الدامية مباشرة لتطويق الازمة .

وفي تطور لاحق تم تحويل ملف الازمة لمناقشته على هامش اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة في نيويورك وبقصد تدويل القضية او الاشارة الى ذلك من قبل الجانب العراقي ، وبالفعل حصل الاجتماع الثلاثي وبحضور امين عام الجامعة العربية ، دون ان تكون هناك نتيجة في حل الموضوع.

فقد قدم العراق وثائق وشرائط مصورة عن فعاليات تدريبية يقوم بها انتحاريون داخل سوريا لاعمال انتحارية مفترضة داخل العراق ، وكذلك قدم العراقيون صور جوية لمعسكرات التدريب ، ولكن سوريا رفضت الاتهامات ووافقت فقط على تشكيل لجنة مشتركة لتقصي الحقائق من العراق وسوريا وتركيا ، من اجل استكشاف بعض المناطق في سوريا ، حيث تقع بعض معسكرات التدريب ، وقد المح وزير خارجية العراق هوشيار زيباري في لقاء له مع قناة الحرة ، الى خشيته من تغيير هذه المعسكرات سريعا .

وفي اجابة لوزير خارجية سوريا وليد المعلم على سؤال من قناة الجزيرة ، حول تأثير هذه الاتهامات على العلاقات مع واشنطن اجاب ، لن يؤثر ، السبب هو الظروف تغيرت ،ولا يوجد دليل لدئ العراق ،وجميع اعضاء مجلس الامن يعتبرون هذا الاتهام هو اتهام سياسي . ولاول مرة نجد ان واشنطن تتجاهل اتهام العراق لسوريا ،ولا تعلق عليه الا في مجال الادانة المجردة للحادث ، فقد تحدث مساعد وزير الخارجية الامريكية فيلتمان في مؤتمر صحفي في نيويورك بشكل مطول عن علاقة العراق بالولايات المتحدة الامريكية ولقاء وزيرة الخارجية هيلاري كلنتون بالرئيس العراقي جلال الطالباني ووزير خارجيته هوشيار زيباري هامش انعقاد الدورة للجمعية العامة للامم المتحدة في نيويورك ، وقال أن الجانبان ناقشا موضوع الاتفاقية الاستراتيجية وهي تختلف عن الاتفاقية الامنية ، لان الاولى تفتح المجال امام التعاون في مجالات التعليم والصحة والعلوم وعلاقات التبادل وامور أخرى مثل الانتخابات العراقية المقبلة ، وسألت الوزيرة عن الاطار التنظيمي والقانوني للانتخابات (قانون الانتخابات) ، وفي معرض حديثه قال أن وزيرة الخارجية كانت أول من زار المباني الحكومية التي

---

[81] **وكالة سانسا السورية ، / / /**

[82] **وزير خارجية العراق (هوشيار زيباري) في لقاء مع قناة الحرة عراق .**

[83] **وزير خارجية سوريا (وليد المعلم) قناة الجزيرة برنامج من واشنطن ، / / / .**

تضررت بفعل التفجير ، والتي اسفرت عن مقتل دبلوماسيين عراقيين دون ان يكون هناك اي اكتراث لتصريحات المسؤولين العراقيين بشأن المحكمة الدولية .

وقد تميزت التصريحات التي اطلقها قياديوا حزب الدعوة ، زملاء رئيس الوزراء نوري المالكي ، بالمباشرة نحو حزب البعث ، بينما لم يشر اغلب السياسيين الاخرين الى ذلك بشكل مباشر ، فقد جاء على لسان وليد الحلي القيادي في حزب الدعوة ، أن كافة دول الجوار ترفض تشكيل محكمة دولية للتحقيق في احداث الاربعاء الدامي ، حتى الحكومة الامريكية تحاول ثني الحكومة العراقية عن مواصلة المطالبة بالمحكمة الدولية ، مؤكدا أن لدى الحكومة الكثير من الوثائق تثبت اشراف اجهزة من الحكومة السورية على تدريبات المسلحين ، وأن اجتماعات قيادات حزب البعث المنحل تجري تحت مراقبتها . مجلة اليوم السابع المصرية تحدثت نقلاً عن مجلة التايم البريطانية أن الولايات المتحدة طالما حثت الحكومة العراقية سراً على البدء بتحقيق مصالحة وطنية تشمل أنصار النظام السابق من البعثيين ، للحد من خطر العنف الطائفي في البلاد بعد سحب قواتها بيد أنها عدت أن القاء رئيس الوزراء المالكي بمسؤولية هجوم (الاربعاء الدامي) في) / (/ على محمد يونس الاحمد ومطالبة سوريا بتسليمه اليها كمؤشر على عدم رغبته في التفاوض مع البعثيين السابقين .

لقد تباينت التصريحات بشأن توجيه الاتهام في هذه الحادثة والحادثة التي تلتها وبنفس الاسلوب في تفجير شاحنة بين وزارة العدل ووزارة البلديات بين من يجمل المسؤولية الى الحكومة واجهزتها الامنية المتراخية ، وبين من يوجه الاتهام الى دول الجوار وسوريا على راسها .

وقد اسفرت هذةالاحداث عن تباين في وجهات النظر بين اركان الحكومة ففي الوقت الذي طلبت فيه السلطة التنفيذية ممثلة برئيس الوزراء و الوزراء من الامم المتحدة لتحويل هذا الملف الى مجلس الامن وتدويل هذه القضية ، رفضت هيئة الرئاسة ذلك واعتبرته تجاوزاً لموقفهم الرافض لذلك .

وكانت اشد تصريحات الرئيس جلال الطالباني تخاطب دول الجوار العراقي بالأمتناع فوراً والى الابد عن تمويل وتسهيل عمليات القوى التي تجاهر بعدائها للدولة العراقية .

ازاء كل ذلك ، فأن صانع القرار السياسي في كلا البلدين العراق و سوريا ، امام أمتحان عسير لدفع عجلة العلاقات بين البلدين الى الامام .

صناع القرار العراقي يعيشون في مأزق يؤرقهم وهو الحال التي سيكون عليها العراق بعد خروج قوات الاحتلال نهاية ، وكذلك هاجس الخارطة السياسية ومشاركتهم الفاعلة من عدمها في رسم ملامح المستقبل السياسي للعراق بعد انتخابات مجلس النواب للدورة القادمة ، فضلاً عن عقد الماضي والخروج من روح الكراهية للأخر المعارض والمعرقل لمشروعهم السياسي ، ممثلاً بحزب البعث ، وربما لاتوجد هذه الهواجس لدى الساسة الكرد بنفس الدرجة ، ولأسباب عديدة اهمها هو استقرار وضعهم السياسي داخل اقليم كردستان ، وتعاطيهم مع اللعبة السياسية بروح منفتحة وأكثر براعة في التسامح وقبول الأخر من زملائهم العرب ، لاسيما وان الصراع الكردي الكردي كان أكثر دموية من الصراع العربي العربي.

.ما صانع القرار السياسي في سوريا، فأنه يشعر بأرتياح تام، ولأسباب عديدة اهمها هو طبيعة النظام السياسي السوري المستقر والذي لايجد معارضة قوية له لا في الداخل ولا في الخارج، بل مجرد أشخاص يمثلون تطلعات ديمقراطية و حقوقية، يتم

---

[84] **مؤتمر صحفي / وكالات الانباء / نيويورك / / / .نائب وزير الخارجية الامريكي فيلتمان .**

[85] **البغدادية / / / ندوة في بريطانيا aibagdadid. com**

[86] **الموقع الرسمي لمشروع المصالحة الوطنية العراقية.**

[87] **مركز الأمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، مأزق العراق ، www.siyassa. org asiyssa/ndex**

اعتقالهم واطلاق سراحهم بين فترة وأخرى، فضلا عن تراجع شبح الولايات المتحدة وتغير خطابها السياسي نحو الأحتواء والقبول بالدور السوري، ومجاورته، وهذا ماحصل بعد تولي الرئيس الأمريكي باراك اوباما، وكذلك تنامي علاقاتها الاقليمية وبالذات مع ايران وتحالفها معها ، حيث اصبحت ايران تشكل عمقا استراتيجيا لسوريا في المنضور السوري ، وكذلك تواجد قيادة حركة حماس الفلسطينية في دمشق والعلاقة الطيبة مع حزب الله ، كل هذه الأوراق تمكن سوريا من أن تكون لاعبا رئيسيا في المنطقة تستطيع ان تفرض شروطها على الأخرين لقبولها . بعد هذه المقاربة في خيارات صانع القرار في كل من العراق وسوريا نجد ان هامش المناورة ، لدى صانع القرار السوري هي اكبر بكثير مما هو عليه لدى صانع القرار العراقي وللاسباب التي تم ذكرها انفا ، في اتخاذ خطوات جريئة لكسر الجمود المتعاقب بالعلاقات العراقية السورية ، ودفعها نحو افاق ارحب من هذا الضيق الذي ينتابها بين فترة واخرى .

الخاتمة والاستنتاجات /

مرت العلاقات العراقية السورية بحالة من الشلل التام لعقود طويلة ، تنفست لفترات قصيرة لم تسعفها لكي تحيا بصورة دائمة على الرغم من جميع المشتركات الثابتة والمتغيرة بين العراق وسوريا ، والتي لم تتوفر مع أي دولة مجاورة للعراق . الواقع السياسي والأجتماعي والأقتصادي والثقافي تدفع بأتجاه تبني علاقات وطيدة بين العراق وسوريا ، لاسيما وان الواقع الدولي الراهن يتجه نحو البحث عن السلام والامن والرفاهية والتعاون المشترك ، فضلا عن التعاون الامني في مجال مكافحة الارهاب وضبط الحدود ، وهي دوافع مهمة لكلا الطرفين في تبني سياسة معقولة ومنطقية لاقامة علاقات دولية ناجحة بين العراق وسوريا . وقد تميزت الفترة التي تلت احتلال العراق بعد وخلال فترة حكم الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش بتأثير الدور الأمريكي الضاغط في تشويش العلاقة بين العراق وسوريا ، حيث استخدم الخطاب الأمريكي موضوع كورقة ضاغطة على كل من سوريا ،لقبولها مفاوضات السلام مع اسرائيل ودقديم تنازلات بذلك ، فضلا عن ايقاف دعمها لكل من حزب الله في لبنان ومنظمة حماس في فلسطين ، بين كان الضغط على ايران في الموضوع النووي اليراني وتهديدها لمصالح الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة وامن اسرائيل بشكل واضح جدا. وبهذا كان موضوع العراق والتغيير السياسي الحاصل فيه ، تهديد خطير في المنظوري السوري والمنظور الأيراني بشكل اقل ، وعلى خلفية هذا الواقع الجديد في العراق ، عملت سوريا وايران بشكل مباشر لأعاقة وجود الولايات المتحدة في العراق ومساعدة جميع الأطراف الرافضة للأحتلال بما فيها حزب البعث ، وتكوين تحالف استراتيجي بين سوريا وايران ، بعد ان نفضت سوريا يديها من مساعدة النظام العربي لها ، ووقوف ابرز دوله مع الولايات المتحدة الأمريكية .

وقع تضاءل الدور الامريكي في المنطقة ، وأنفتاحه على سوريا ، بعد ان كان ضاغطا ، وتبني الرئيس الامريكي باراك اوباما لسياسية الانفتاح وحوار الاخرين وبالذات سوريا وايران ، اصبحت كل هذه العوامل مهمة في رسم ملامح علاقات ايجابية بين العراق وسوريا ، وتحرير لصانع القرار في اتخاذ خطوات ناجحة ليس لسوريا فقط ولكن للعراق ايضا .

ان صناع القرار العراقي وان تعاقبوا على حكم العراق بحكومات مختلفة للفترة من – وحتى نهاية ، فان خطواتهم متشابهة للتقدم بأتجاه سوريا ، وربما لم يختلفوا كثيرا عن سلفهم النظام السابق قبل ، وعليه يتوجب من صناع القرار المستقبلي للعراق بعد انتخابات النيابية ان يراعوا الخطوات التالية :

– إجراء مصالحة حقيقية ، تفضي الى مشاركة الجميع بالعملية السياسية ، بما فيهم البعثيين وللاسباب التالية : –

– انهاء مبررات العنف . وفتح الطريق امام اقامة علاقات متينة بين العراق وسوريا وعلى كافة الصعد .

.– انهاء مبررات تدخل الجيران بهدف نصرة مجموعة على حساب مجموعة اخرى .

.– تقديم صورة حقيقية عن الديمقراطية في العراق ، وتبني مبادئها قولا وفعلا ،والغاء مفهوم العنف في الوصول الى السلطة .

.– تقديم تطمينات الى المجتمع الدولي متمثلا بالأمم المتحدة والولايات المتحدة ، وهي اطراف ضاغطة بأتجاه دمج البعثيين وعودتهم الى الحياة السياسية مشاركين ايجابيين في بناء العراق .

– تقديم ضمانة الى الدول والشركات الراغبة بالتعاون مع العراق في مجالات البناء والاعمار والنفط والعلاقات الدولية الأخرى ، للمجئ والعمل داخل العراق .

–– تحقيق مطلب اجتماعي نامي بهدف ضم الجميع تحت خيمة العراق . وأعلاء مفهوم المواطنة المتساوية في دولة المواطنة

–– انهاء معاناة المهجرين منهم ، وأغلاق ملف المهجرين خارج العراق بعد إزالة الأسباب المؤدية لذلك .

.– الأستفادة من الكفاءات العلمية والفنية والأدبية وغيرها من المهارات التي يتمتع بها هؤلاء بعد دمجهم بالمجتمع بشكل حقيقي .

.– تبني خطاب سياسي معتدل مع الجيران ، وبالذات سوريا ، وراب الصدع الحاصل في العلاقات بين البلدين .

.– تفعيل الأتفاقيات المبرمة مع الحكومة السورية واتاحة الفرصة للمزيد من التعاون ، وبالذات موضوع فتح انبوب النفط العراقي المار عبر سوريا ، وانبوب الغاز المستقبلي من حقل نكاز غرب العراق الى الأسواق الأوربية عبر بوابة سوريا على البحر الأبيض المتوسط .

.– تحييد ملف العلاقات مع سوريا عن التجاذبات السياسية الداخلية والتأثير الخارجي وبالذات الأمريكي ، والعمل بشكل ايجابي لتقريب وجهات نظر سوريا مع الولايات المتحدة الامريكية ولعب دور ايجابي بذلك ، وكذلك تعضيد موقف سوريا المشروعة بتحرير الجولان المحتل .

.– انشاء منظومة من العلاقات المترابطة بين العراق وسوريا وتركيا ، لتأمين متطلبات العراق من حصتة المائية من نهري دجلة والفرات وبشكل عادل .

.– العمل على الغاء تأشيرة الدخول بين البلدين ، وذلك لغرض انماء العلاقة بين البلدين ، اسوة بعلاقة سوريا مع تركيا وغيرها من الدول العاملة بهذا المبدأ .